المرأة الليبية ودورها في حركة الجهاد

ضد الاحتلال الإيطالي

د/ وفاء الضاوي محمد خليفه

محاضر في التاريخ الحديث والمعاصر/ قسم التاريخ /كلية الآداب / جامعة طرابلس

Research Summary

Libyan women and their role in the jihad movement against the Italian occupation

Despite the importance of the role played by women in calling for jihad and urging it and resilience to the enemy, historical studies have been interested in codifying the political history of the resistance and given the greatest attention, and omitted the role played by women, where we did not appear only through the study of the social history of the country and to identify the role of the family In the Libyan society and the process of the distribution of tasks in it, hence the significant role of women in the management of the family matters of the elderly and children and the provision of water and food through work in the fields and the practice of agricultural work, grinding barley stone mill and cooking food on the fire of wood (), and provide Hence the role of women in supporting men in the battles, through incitement and encouragement of the Mujahideen to fight the enemy, as they were throwing her children in the battlefields to achieve the desired hope of liberating the homeland from the clutches of the enemy. Italian.

With the information we have on this subject, we ended up with it and researched it through the research plan listed below; where the research was divided into an introduction, and a prelude, and three axes as follows:

- Raise the morale of the Mujahedeen.
- Providing the mujahedeen with important information and providing them with catering.
- The role of women in helping the wounded and injured.

ملخص الدراسة:

المرأة الليبية ودورها في حركة الجهاد ضد الاحتلال الإيطالي

على الرغم من أهمية الدور الذي لعبته المرأة في الدعوة للجهاد والحث عليه والصمود أمام العدو إلا أن الدراسات التاريخية اهتمت بتدوين تاريخ المقاومة السياسي وأولته العناية الأكبر، وأغفلت الدور الذي قامت به المرأة حيث لم يظهر لنا إلا من خلال دراسة التاريخ الاجتماعي للبلاد والتعرف على دور الأسرة في المجتمع الليبي وعملية توزيع المهام فيها، ومن هنا برز دور المرأة الكبير في تسيير أمور الأسرة من اهتمام بالشيوخ والأطفال وتوفير الماء والغذاء من خلال العمل في الحقول وممارسة الأعمال الزراعية، وطحن الشعير بالرحى الحجرية وطهي الطعام على نار الحطب[1]، وتوفير مستلزمات الأسرة والأبناء في غياب الإباء والرجال أثناء مشاركتهم في المعارك، ومن هنا برز دور المرأة في مساندة الرجال في المعارك، من خلال التحريض وتشجيع المجاهدين لقتال العدو، كما أنها كانت ترمي بأبنائها فلذة كبدها في ساحات المعارك لتحقيق الأمل المنشود وهو تحرير الوطن من براثن العدو الإيطالي.

وبما توفر لدينا من معلومات حول هذا الموضوع انتهينا إلى خوضه والبحث فيه من خلال خطة البحث الآتي سردها؛ حيث تم تقسيم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة محاور وهي:

- رفع الروح المعنوية للمجاهدين.
- مد المجاهدين بالمعلومات المهمة وتوفير التموين لهم.
- دور المرأة في مساعدة الجرحى والمصابين.

توطئة-:

على الرغم من أهمية الدور الذي لعبته المرأة في الدعوة للجهاد والحث عليه والصمود أمام العدو إلا أن الدراسات التاريخية اهتمت بتدوين تاريخ المقاومة السياسي وأولته العناية الأكبر، وأغفلت الدور الذي قامت به المرأة حيث لم يظهر لنا إلا من خلال دراسة التاريخ الاجتماعي للبلاد والتعرف على دور الأسرة في المجتمع الليبي وعملية توزيع المهام فيها، ومن هنا برز دور المرأة الكبير في تسيير أمور الأسرة من اهتمام بالشيوخ

[1] . ج. ف. آبوت، الحرب المقدسة في طرابلس الغرب، ترجمة: عبد الحفيظ الميار، دارف المحدودة، لندن 1993م، ص100.

والأطفال وتوفير الماء والغذاء من خلال العمل في الحقول وممارسة الأعمال الزراعية، وطحن الشعير بالرحى الحجرية وطهي الطعام على نار الحطب، [2] وتوفير مستلزمات الأسرة والأبناء في غياب الإباء والرجال أثناء مشاركتهم في المعارك، ومن هنا برز دور المرأة في مساندة الرجال في المعارك، من خلال التحريض وتشجيع المجاهدين لقتال العدو، كما أنها كانت ترمي بأبنائها فلذة كبدها في ساحات المعارك لتحقيق الأمل المنشود وهو تحرير الوطن من براثن العدو الإيطالي.

إن المرأة الليبية من الناحية التاريخية لا تقل عطاءً واسهاماً في بناء المجتمع عن الرجل حيث أسست وانخرطت مبكراً في مؤسسات المجتمع المدني منذ أواخر العهد العثماني الثاني حيث أنشأت جمعية (نجمة الهلال) سنة 1908، لتكون أول جمعية أهلية تمارس عملية ممنهجة ومنظمة لتعليم الفتيات والنساء، وتدريبهن على ما يحتاجه النساء أنداك.

ومع ذلك فإن المعلومات التي توصلنا إليها في هذا البحث كانت مبعثرة في بعض الكتب ولم تلقى العناية اللازمة لإظهارها بصورتها النهائية لكي يتسنى للقارئ التعرف على دور المرأة بكل سهولة وسلاسة الأمر الذي دفعني إلى البحث في هذا الموضوع وإضافة شيء بسيط عن هذه الفترة المعتمة من تاريخ الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي.

وبما توفر لدينا من معلومات حول هذا الموضوع انتهينا إلى خوضه والبحث فيه من خلال خطة البحث الآتي سردها؛ حيث تم تقسيم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة محاور تعرضنا في المحور الأول إلى دور المرأة في رفع الروح المعنوية للمجاهدين وكيف بذلت قصارى جهدها لتأجيج عواطفهم وحثهم على القتال، وتعرضنا في المحور الثاني لعملية مد المجاهدين بالمعلومات وتوفير التموين لهم، أما المحور الثالث فتم تخصيصه لدور المرأة في مساعدة الجرحى وعلاج المصابين، على النحو التالي:-

- رفع الروح المعنوية للمجاهدين.
- مد المجاهدين بالمعلومات المهمة وتوفير التموين لهم.
- دور المرأة في مساعدة الجرحى والمصابين.
- أولاً/ رفع الروح المعنوية للمجاهدين:-

[2] . ج. ف. آبوت، الحرب المقدسة في طرابلس الغرب، ترجمة: عبد الحفيظ الميار، دارف المحدودة، لندن 1993م، ص100.

جسدت المرأة دورها الكبير في رفع الروح المعنوية للمجاهدين فكانت الزوجة الوفية لزوجها الحافظة على شرفه، والمهتمة بأبنائه وتوفير ما يحتاجون إليه من مأكل وملبس في غيابه أثناء خوضه للمعارك ضد الأعداء.[3]

وليس هذا فحسب بل إنها شاركت في أغلب المعارك، وبذلت قصارى جهدها في إثارة الحماس وشد عزائم المجاهدين والتخفيف من ألامهم، من أجل قيام الرجال بواجب الجهاد المقدس ضد العدو المحتل، وفي هذا الصدد حدثنا أحد الاتراك قائلاً:-"إن النساء المسنات يؤججن حماس رجالهن بالأهازيج وأناشيد الوغى والقصائد إذا ما استشهد الزوج فإن زوجته ترمي بنفسها عليه وتشق ثيابها وتحل شعرها ثم تنطلق إلى العدو وهى تغني، وهذا ما يثير فيها الحماس"[4] ،وهذا بدوره يؤكد على البسالة والاستماتة في ميادين القتال من قبل المجاهدين.

وفي السياق نفسه يحدثنا أحد الصحفيين،أنه عندما كان يتجول في أنحاء بعض القبائل العربية وكان برفقته عزيز بيك المصري، تناهى على سمعهم غناء بين امرأتين الأولى كانت من قبيلةسديدي، والثانية من قبيلة المغاربة، وكلتاهما كانت تتفاخر ببسالة رجال قبيلتها في تلك المعركة التي خاضوها ضد العدو الإيطالي.

ويقول عزيز المصري لأحد الصحفيين واصفاً احدى نساء المجاهدين التي اشتهرت في معركة الزريربعية، حيث ظلت واقفة في أرض المعركة تحت المجاهدين بأهازيجها الشعبية التي كانت تزيدهم حماس واستمرار في القتال، مما عرضها للخطر حيث أُصيبت بطلق ناري إصابة بليغة.[5]

وفي يوم 22 ديسمبر 1911، خرجت قبيلة بني مريم في طبرق بقيادة الشيخ المبري المريمي، للتصدي للقوات الايطالية التي كانت تحاول احتلال قصر الناظورة، فأصيب ذلك الشيخ برصاصة في رأسه فألقى قبعته بعيداً وصاح في فرسانه لقد جرحت... ولكن لا تهتموا لأمري تابعوا مهاجمة العدو بدوني، وعندما شاهده أفراد قبيلته جريحاً كادوا ينهاروا، غير أن نساءهم كن وراءهم يلهبن حماسهم، ويشجعنهم على مواصلة القتال، فما كان منهم إلا أن هاجموا العدو وأوقعوا به خسائر فادحة.[6]

ويحدثنا الزاوي على مشاركة عدد من النساء في معركة قرقارش الثانية 21 يناير 1912 حيث كان من بينهن مبروكة المقسية التي كانت تعتني بالمجاهدين، تضمد جراحهم وتشجعهم على الصمود بزغاريدها وغنائها،

---

[3]- بشير محمد رمضان، القيادة والإمداد في حركة الجهاد الليبي، ليبيا، 1999، ص85.

[4]- الشهيد، العدد الخامس، 1984، ص200.

[5]- جورج ريمون، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا ،1912،ترجمة: محمود عبد الكريم الوافي،جامعة قاريونس، بنغازي، 1972، ص309.

[6]- نفس المرجع السابق، ص ص 374، 375.

حتى أنها جرحت في فخدها، ولم تكترث بما أصابها، لذلك أعجب بها أحمد باشا وأهداها سيفاً وبندقية.[7]

كما ذكرت صحيفة البيان، أن امرأة لم يذكر اسمها أبلت بلاء حسناً، فكانت تشجع المجاهدين حتى جرحت في ذراعها، وكافأها الأتراك وأعطوها بندقية، ورغم جراحها لم تترك ساحة القتال، بل مكثت فيها تثير حماس المجاهدين بزغاريدها حتى تمكنوا من الهجوم على ميسرة القوات الإيطالية وهزموها واستولوا على مواقعها، وأجبروها على الانسحاب وهزيمتهم وهكذا حقق المجاهدين انتصاراً كبيراً، وظلت تلك المرأة الشجاعة تغني وهم يرددون بعدها فشكرها الضباط الأتراك على عملها البطولي وكوفئت ببندقية، وبعض الرصاصات تقديراً لها على موقفها وصمودها في أرض المعركة.[8]

وفي منطقة عين بومنصور كانت نساء البراعصة يتقدمن ركب المجاهدين وهن يتغنون بالأغاني الحماسية ومن خلفهم زوجات الشيوخ وبعض الفتيات من شتى القبائل على ظهور الإبل[9].وكانت فاطمة بنت عبدالله الطرابلسي تتجول بين المقاتلين وعندما ازدادت الحرب ضراوة ظلت توزع الماء والذخيرة على المجاهدين.[10]

ويحدثنا جورج ريمون أن فرحات بي قام بجلب امرأة من قبيلة النوائل تدعى سليمة بنت مقوس[11] ليلتقط لها صورة تذكارية باشتراكها في جميع المعارك التي نشبت مع الإيطاليين في طرابلس وقد أُصيبت في إحدى المعارك برصاصة في صدرها فنُقلت إلى قبيلتها لتلقي العلاج وبعد تحسن صحتها عادت من جديد لتأخذ مكانها بين صفوف المقاتلين تشجعهم وتزيد من هممهم، وبذلك حظيت بإعجاب بول بريستان مراسل جريدة المرسيل الصغيرة الصادرة بمدينة مرسيليا، وأهداها وساماً نظير شجاعتها.[12]

---

[7]– الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، دار الفتح، بيروت،ط1973،3،ص123.

[8]– مصطفى حامد أرحومة، المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الإيطالي أكتوبر 1911 –أكتوبر 1912 دولة ليبيا، 1988، ص169.

[9]– مذكرات أنور باشا في طرابلس الغرب، تقديم وترجمة: عبد المولى صالح الحرير، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979، ص65.

[10]–الشهيد، العدد الخامس، ص30.

[11]– صورة حبيبة بنت مقوس، ملحق(2)، حبيب وداعة الحسناوي، حبيب وداعة الحسناوي (جمع وتعليق) قصة جهاد الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي 1911– 1943، صور وثائق وأرقام، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988، ص166.

[12]– جورج ريمون، المرجع السابق، ص125 – 127.

وتأكيداً للدور الفعال التي قامت به المرأة في ساحات القتال قامت صحيفة الزهراء في أغسطس من عام 1912 بإعطائنا صورة مشرفة لمواقف المرأة في ميادين القتال، فقد كن يتسابقن إذا اشتد البأس، ومن لم يستطيع منهن منازلة الإيطاليين لمرضهن أو لكبر سنهن، فقد كن يدفعن بأبنائهن للساحات والنزال كسباً للمدح والثناء، فقد كانت النساء اللواتي لا يستطعن النزول إلى ميدان الحرب يقمن بغناء الأناشيد الحماسية لرفع عزائم الابن وأحياناً الأب عند ذاهبهم إلى المعركة، فقد كانت لا تقبل التردد في الشجاعة، وكثيراً ما كانت تعاير المترددين وهذا ما حدث في إحدى معارك بنغازي أغسطس 1912 عندما ترددت مجموعة من الرجال أثناء هجومهم على لواء من المشاة الطليان فنادتهم امرأة إلى الثأر.[13]

وفي الثامن عشر من ديسمبر 1912 جرحت إحدى النسوة في عين بو منصور فرفضت تلقي العلاج واستمرت في تحريض المجاهدين، وهذه حقيقة أكدها أنور باشا في مذكراته[14].ومن جهته قدم لنا آبوت وصفاً أخر لسيدة من الزاوية جاءت صحبة زوجها إلى ميدان القتال في قرقارش في 22 يناير 1912 كانت تزغرد تارة وتلوح بعصاها أخرى، تلعن الإيطاليين وتحث الرجال على القتال قائلة لهم (كونوا رجالاً لا تتصرفوا كالأطفال إذا لم تظهروا شجاعتكم سأخبر زوجاتكم)[15] وبكلامها هذا زادت من حماس الرجال فارتفعت معنوياتهم وزحفوا إلى الأمام وطردوا الإيطاليين من خنادقهم[16]. وكان آبوت يرى فيها الشخصية البارزة المثيرة للجدل بين الجرحى عندما رجعت إلى مقر القيادة في سواني بني أدم في موكب النصر مع الذين قاتلوا بجانبها والدماء تنزف من يدها وكتفها، وفي المعسكر تلقت التهنئة والترحيب على شجاعتها وقدم لها مبلغ من المال كمكافأة على شجاعتها، ولكنها رفضت وطلبت من الآمر أن يعطيها بندقية فكان لها ذلك[17]. كما منحت سيفاً عربياً كان بمثابة الغنيمة بعد الحرب فأخذته وهي مبتهجة ومتباهية بجراحها[18].كما كان للمجاهدة فاطمة بنت مقوس دور كبير في تضييق الخناق على الحامية الإيطالية في مرزق حيث سجنت هناك، وقالت عنها المصادر الإيطالية أنها امرأة غير عادية تحرض بكل شجاعة على إثارة الحقد والكره ضد التواجد الإيطالي.[19]

---

[13]– محمد صالح الجابري، يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية، الدار العربية للكتاب، طرابلس تونس، 1988، ص ص 428، 429.

[14]– مذكرات أنور باشا، مرجع سابق، ص61.

[15]– جون آبوت، مرجع سابق، ص281.

[16]– نفس المرجع، ص283.

[17]– أحمد عطية مدلل، التدخل الأجنبي في ليبيا(1881 – 1915) ج م، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس 2007، 1005.

[18]–جون آبوت، المرجع السابق، ص284.

[19]–الشهيد، العدد الخامس، مرجع سابق، ص28

وفي كل الأحوال فقد ضربت المرأة الليبية أروع الأمثلة وبشهادة القادة الأتراك، والطليانفقد كانت شجاعة ثابتة العزم، تعمل جاهدة لإثارة روح الإقدام بين المجاهدين[20].وليس هذا فحسب بل رفضت الاقتران بالجبناء من أبناء وطنها، لأن الجبن صفة من صفات العار بالنسبة لهم، وإذا خاف الرجل وعاد إلى بيته فأول ما يتلقاه قطع طرف من ردائه أو وضع علامة سوداء على ثيابه حتى إذا دق طبل النداء في معركة أخرى وحاول التخاذل تندفع زوجته لحمل بندقيته والذهاب إلى المعركة بهدف إثارة غيرته مما يدفعه للمشاركة في المعركة.[21]

وفي هذا الصدد فقد تبين لنا الشأن الكبير الذي حظيت به المرأة من احترام لدى الرجال كما تبين لنا مدى أهمية الرجل الشجاع في نظر أهله وعشيرته وفي نظر المرأة أيضاً، حيث كانت الشجاعة في الحروب التقليدية القديمة تلعب دوراً مهماً في ميزان المعركة، وهى نظرة اجتماعية يمكن أن تكون اختلفت عنها نظرة المجتمع في وقتنا الحاضر من الناحيتين الاجتماعية والحربية، ولعل السبب في ذلك يعود إلى تطور الأسلحة من جانب، وإلى اختلاف القيم الاجتماعية بين الأجيال من جانب آخر[22].كما كان من يتولى الإدبار يوم المعركة لا يحظى بامرأة يقترن بها طوال حياته، لذلك يذهب إلى المعركة ويضع نصب عينيه أمرين مهمين النصر أو الاستشهاد، وهذا الضابط الاجتماعي يضطر كل رجل تأخر المعركة أن يغادر قريته وموطن أهله إلى الأبد، ويبقى الذل والعار يلاحق أهله وقبيلته جيلاً بعد جيل، كما أن النساء كانوا يمدحون الشجعان ويتمنون الاقتران بهم.فكن يرددن أمام بناتهن قول (خوذي ولد ما يولي سوق البلاء ما يهابه)، أي على المرأة أن تتزوج رجل شجاع لا يخاف المخاطر مهما اشتدت[23].وبذلك فإن التشجيع المادي والمعنوي يحقق في نفوس المجاهدين الحماس والتقدم لدحر العدو، وعدم التراجع والانهزام والتولي أمام زحف العدو.

ففي معركة سيدي بلال أو جنزور الثانية 20 سبتمبر 1912 تصدى المجاهدون الذين تمركزوا في نخيل صياد بكل قوة لميمنة القوات الايطالية ومنعتها من احتلال المنطقة، واستمرت المعركة على أشدها ساعتين من الزمن حيث دخلت القوات الإيطالية نخيل صياد فصده المجاهدون وردوها على أعقابها بفضل تشجيع مشائخهم ونسائهم، كما تدخل جزء من الجنود الأتراك لصالح المجاهدين مما رفع معنوياتهم[24]، وكان ذلك دافعاً لتشجيع المجاهدين بعضهم لبعض حيث كانوا يبذلون ما في وسعهم ويكبدون العدو الهزائم النكراء وأصبحوا كلما يخرج من مكان يلحقون به افدح الخسائر.

20– مذكراتأنور باشا، مرجع سابق، ص74.

21– الشهيد، العدد الخامس، مرجع سابق، ص 26،28

22– مذكرات أنور باشا، مرجع سابق، ص ص95 ، 98.

23– أحمد عطية مدلل، المرجعالسابق، ص1003.

24– مصطفى حامد ارحومة، مرجع سابق، ص180 .

- مد المجاهدين بالمعلومات المهمة و توفير التموين لهم:-

لقد حظيت المرأة الليبية بمكانة عالية، فاقت بها غيرها من نساء العالم نظراً لقيامها بأدوار بطولية خالدة تجاوزت بها ساحة الوطن، وتصدرت أخبار بطولتها الصحافة العربية والأوروبية على حد سواء[25]، حيث أنها لم تقتصر أعمالها على سقي المجاهدين في ساحات القتال، بل تجاوزته لما هو أخطر وأصعب، من ذلك مثلاً قيامها باستطلاع الإيطاليين ومراقبة تحركهم مما يزيد من ثقتنا بتعدد أدوارها.[26]

ومن أعمال المرأة أيضاً مساهمتها في عملية الاتصال ونقل المراسلات بين المجاهدين كما شاركت في عملية الاستطلاع ونقل أخبار العدو ورصد تحركاته للمجاهدين الذين حققوا النصر على عدوهم بأيسر وأقصر الطرق، وقد لاحظ دور المرأة في الاستطلاع شاهد عيان بقوله:-"في صباح يوم الاثنين سنة 1912 ايقظنا صوت المدافع العنيفة، فهربنا إلى الخارج وقفزت على صهوة جوادي وذهبت إلى الموقع بأقصى سرعة، وفجأة ظهرت بالقرب مني حسناء عربية شقراء ترجلت من حصاني وتناولت طاسة اللبن التي قدمتها لي، وقالت لي كن حذراً لا تنحدر إلى الوادي، الإيطاليون هناك ستقع في أيديهم"[27].فسألها الرجل كيف عرفت ذلك فقالت له:-"لقد أتيت من الوادي وشاهدت حشودهم بعيني وهم كثيرون فأخذ برأيها، وربط حصانه وتسلل إلى الوادي فرأى مستطلعي الإيطاليين الذين ضبطوا حركته، وأمطروه بوابل من قذائفهم فعاد راكضاً إلى جواده حيث انتظرته البطلة وبين يديها جرة لبن، وقالت:- هل صدقتني الآن، فرد عليها بقوله:- ابتعدي انتي من هنا، فما كان منها إلا أن ردت:- اذهب أنت ولا تقلق علي سألتف من الوراء لتوزيع اللبن على الجرحى، هيا وليكن الله في عونكم"[28].لقد أنقذته بعملها البطولي هذا من أن يقع فريسة في براثن العدو الذين قد يكتشفون من وراءه بقية المجاهدين الذين كانوا معه.

---

[25]- اروخان كول أوغلو، مذكرات الضباط الأتراك حول معركة ليبيا، ترجمة: وجدي كدك، مراجعة عماد الدين غانم، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979، ص120.

[26]- نفس المرجع، ص211.

[27]- أروخان كول أوغلو، مرجع سابق، ص211.

[28]- نفس المرجع، ص212.

ومن درنة تفيدنا صحيفة الزهرة أن نساءها كن يسرنا خلف الصفوف عندما يشتد وطيس المعارك يشجعن الرجال بالأناشيد الحماسية والزغاريد، وإذا جرح أحد المجاهدين يتقدمن لمواساته ويحملن الماء لإطفاء ظمأ الفرسان دون خوف من أزيز الرصاص المتناظر أو قذائف المدافع.[29]

وعندما يغيب الرجل ويذهب إلى قتال العدو، تقوم المرأة بأعمال الرجل في الحقول فكانت تزرع الأرض البعلية يساعدها في ذلك الأبناء الصغار، ومن ثم تعمل على جمع الحبوب وطحنها بطريقة يدوية توفر من خلالها دقيقاً يظل زاداً لجبهتين داخلية يمثلها الصغار، وخارجية لمن ذهب إلى الجهاد في سبيل دينه ووطنه.[30]

وأن هذا الدور لم تقم به المرأة وهي بعيدة ساحة الحرب بل متواجدة فيها، تلاحق بعملها هذا تحركات المقاتلين وتتنقل معهم من مكان إلى أخر، وتعمل على إعداد الخبز وخياطة الملابس وتنظيف السلاح، وذكر ذات مرة إن امرأة من قبيلة الدرسة ركبت الحصان خلف أحد المجاهدين، وعند أصابته بجروح أثناء المعركة بدأت تملأ البندقية بالذخيرة وتطلق الزغاريد لتشجيعه وظل هو يضرب العدو برصاص بندقيته[31].وعندما قام المجاهدون بمحاصرة القوات الإيطالية في منطقة ترهونة، وكردة فعل تحرك الطليان لفك الحصار، وهنا دخل النساء والأطفال ميدان العمل ومساندة الجبهة الداخلية، فقاموا مقام الرجال في الأعمال الميدانية من حصار وزرع وسقي الحيوانات وتزويد المحميات بما يلزمها من ماء وتموين، لكي يفسحوا الطريق للرجال في ميدان الحرب.[32]

إن ما حدث في ترهونة من بطولات قامت بها النساء، هو نفسه كان يحدث في أغلب أراضي ليبيا، ومن بينها مدينة بنغازي فقد قال جورج ريمون(تقوم قرب مدينة بنغازي مدينة أخرى كبيرة خيامها متراصة، وقد حط المجاهدون بعائلاتهم وخيامهم تعج بالشيوخ الطاعنين في السن والنساء والأطفال الذين غالباً ما يتبعون المجاهدين في معاركهم لإثارة حميتهم وتشجيعهم ولإسعاف جرحاهم ونقل شهدائهم)[33].فكانت بذلك محل تقدير الضباط الأتراك وإعجابهم بما في ذلك أنور باشا الذي أشاد في مذكراته بدورها فقال:- "ينبغي أن أنتهز الفرصة هنا لأعرب عن إعجابي الشديد ببساطة البدويات وتواضعهن واحتمالهن وقوة شخصياتهن وشجاعتهن... وبعد أن حصلت على مرسوم فإنني أذنت للضباط بالزواج من النساء العربيات".[34]

29- محمد صالح الجابري، يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية، مج2، الدار العربية للكتاب طرابلس- تونس، 1982، ص102.

30- بشير محمد رمضان، مرجع سابق، ص ص90 ، 91.

31- يوسف سالم البرغتي، موسوعة روايات الجهاد، ج2، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس 1990، ص 93.

32- عمر الزبيدي، مجاهدو ترهونة ودورهم في أحداث ثورة 1915، مجلة الشهيد، ع10، 1989 ص171.

33- جورج ريمون، مرجع سابق، 179.

34- مذكرات أنور باشا، مرجع سابق، ص97.

والحقيقة إن دور المرأة لم يقتصر على الفترة التي كان فيها الضباط الأتراك، فقد استمرت تقوم بنفس المهمة طيلة سنوات الحرب ضد العدو الإيطالي، وبهذا نصل إلى نتيجة مهمة أن المرأة كانت ولازالت مدبرة أمور أو مديرة إعاشة المجاهدين، وكانت المتطوعة المحتسبة، وكانت كثيراً ما تبذل نفسها في سبيل الله عز وجل مقاتلة فارسة.

كما لم يقل دور الأطفال عن دور المرأة فقد ساهم الأطفال في الكثير من الأحيان في فرق الاستطلاع، حيث كان يتم إرسالهم إلى مواقع العدو للتعرف عليه، ويذكر في أحد الأيام أنه كُلف طفل بالتعرف على معسكر إيطالي، فتسلل إليه متخذاً دريعة بيع دجاجة لأحد الجنود الإيطاليين لإخفاء نواياه، وقد نفذ مهمته بنجاح، فقد وجد المعسكر خالياً من الجند، حيث غادروا دون أن ينقلوا شيئاً مما كان فيه، وأستطاع أخذ ما تمكن من حمله من المعسكر، وأخبر المجاهدين بنتيجة استكشافه، ونفذوا على أساسها عملية مهاجمة المعسكر وأخذ ما فيه غنيمة لهم، وكافأ قائد المجاهدين في الموقع هذا الطفل الشجاع وسمح له بأخذ ما غنمه من المعسكر.[35]

- دور المرأة في مساعدة الجرحى والمصابين:-

لقد اتخذت المرأة في كل الأحوال أدوارها بجدارة فقد ترأست الجبهة الداخلية من اهتمام بالأسرة والمزارع ، وتوفير التموين للمجاهدين، ولم تغفل الجبهة الميدانية التي تمثلت في وقوفها إلى جانب الرجل في الكثير من ساحات القتال قد تجد لها أصداء واسعة في كثير من الزجل الشعبي والأمثال الشعبية وفي ما دونه كثير من الضباط الأتراك في مذكراتهم، يضاف إلى ذلك ما تناولته الكثير من الصحف العربية والأجنبية من خلال مراسليها الذين كانوا يمدون صحفهم بالمعلومات اللازمة عن أحداث سير المعارك الحربية التي شارك فيها الليبيون رجالاً ونساءً جنباً إلى جنب وعلى حداً سواء[36]، وهى عين الحقيقة التي أكدها الزاوي في معركة الهاني، بأن هناك امرأتين إحداهما من الصابرية تدعى غيثة من أولاد عيسى، والأخرى عائشة بنت ميلاد سمراء اللون قامتا بدورين مهمين عملي ومعنوي قبل وأثناء معركة الهاني، وطبقاً لقوله:- "وقد تفشت الحمى بين المجاهدين فكانتا تقومان بشئون المرضى وتواسيهم، وكانتا تشجعان المجاهدين وتدعوا لهم بالسلام والنصر.[37]

لقد لعب الهلال الأحمر دوراً مهماً خلال السنوات الأولى من الجهاد نظراً لوجود أنور باشا قائد المنطقة الشرقية في عين بومنصور، وكذلك عدد كبير من المجاهدين، فتم إنشاء مستشفى ميداني لإيواء الجرحى

---

[35]-مصطفى حامد ارحومة،دور الأطفال في حركة المقاومة الوطنية ضد الغزو الإيطالي، مجلة الشهيدع6، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1983، ص ص،107،106.

[36]- ج . و . آبوت، مرجع سابق، ص 80.

[37]- الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال، مرجع سابق، ص92.

والمرضى، كما توجد عيادات يومية للكشف على المجاهدين ومن أفراد الفرقة نهاد جوران، والدكتور صائب جيراي، وكانت مهمة هذه البعثة إنقاذ جرحى الليبيين وإخراج شظايا الرصاص من أجسامهم.[38]

كما استعانت فرقة العمليات الطبية في المعسكرات ببعض الشباب والنساء ودربتهم على أصول التمريض والإسعافات الأولية، وكيفية نقل الجرحى والمرضى من ساحات القتال بطرق سليمة، وقد تعرضت جريدة الزهرة التونسية إلى وصف أعمال الممرضين بين المجاهدين الذين كانوا يقومون بمعالجتهم، وإلى كيفية تدريبهم تحت إشراف الأطباء المختصين، حيث كان الممرض يجد إناء به ماء بارد ومخلاة بها لفائف من القطن، كما كان الممرضون والممرضات يقومان بتضميد الجرحى بطريقة جيدة، ولا يفرقون بين المصابين من العرب أو الترك أو الإيطاليين، حيث كانوا يهتمون بجميع الجرحى.[39]

وهذه الأعمال أو الأفعال ليست بغريبة على نساء ليبيا، حيث الكثير منهن قدمن حياتهن فداءً للوطن أثناء تأدية واجبهن بإسعاف الجرحى أو تزويد المجاهدين بالماء والغذاء مما كان سبباً في تعرضهن للإصابة في بعض الأحيان.

وبذلك فإن التشجيع المادي والمعنوي قد أضفى على معنوية المجاهدين الليبيين رونقاً ومهابة وجعلهم في نظر العدو شجعان بواسل لا يرضون الضيم، يعافون عن العرض والشرف وكان شرفهم الموت في سبيل وطنهم، لأنهم كانوا شجعاناً والشجاعة تسري في عروقهم وهذا ما أكده تواجدهم في المعارك التي خاضوها، كما أقر به الأعداء قبل الأصدقاء، حيث حاولوا استمالة المجاهدين وإغرائهم بالذهب والفضة، ولكنهم رفضوا التخاذل والتفريط في الوطن، إن هذا الإباء والإخلاص للوطن له من الأمثلة العظيمة التي يضرب بها الليبيين للعالم أجمع إنهم لا ينخدعون بالوعود الكاذبة، الأمر الذي دفع إيطاليا لاستعمال القوة للقهر الليبيين الذين لم يقبلوا بالحرب بديلاً فأما أن ينتصر إما أن يفنى.[40]

وهذا ما يؤكد أن حب المجاهدين لوطنهم جعلهم لا يحبون الحياة بقدر حبهم للاستشهاد في سبيله، حتى إن جورج ريمون المراسل الصحفي قال عنهم:-"إذ لا قيمة للحياة عند هؤلاء البدو الليبيين وبلدهم محتل، وإن لذتهم تتركز كلها في حب الحرب وحمل السلاح وركوب الخيل وأقصى ما يتمنى الواحد منهم هو أن يستشهد في أحد المعارك" .[41]

---

[38]- جورج ريمون، مرجع سابق، ص 332.

[39]- محمد صالح الجابري، مرجع سابق، ص ص 187، 188 .

[40]- جورج ريمون، مرجع سابق، ص ص 83، 284.

[41]- نفس المرجع، ص289.

خاتمة:-

من خلال دراستنا لمحاور هذا البحث توصلنا إلى نتائج مهمة وهى:-

إن المرأة الليبية رغم بساطتها وكثرة مسؤولياتها إلا أنها ظلت محافظة على قوتها في حق تقرير مصيرها، فهي كانت تساند الرجال في ساحات القتال ولم تكن متخاذلة أو متراجعة إلى الوراء إذ عملت على تأجيج مشاعر المجاهدين وتحريضهم على طرد العدو وتحرير البلاد كما عملت على إمداد جبهة القتال بالشباب المجاهدين تزرع فيهم حب الوطن وتحتهم على الدفاع عنه منذ ولادتهم، وليس هذا وحسب بل عملت على توفير الماء والغداء والمؤن للمجاهدين كما ساعدتهم بمدهم بالمعلومات المهمة عن أماكن تواجد العدو ومن ثم تفادي الوقوع في المحظور، وتمكنهم من مباغتة العدو في الكثير من الأحيان والانتصار عليه في أحيان أخرى بل تعدت أعمالها أبعد من ذلك فقد كانت أيضاً تعمل على راحة المجاهدين وتوفير كل ما يحتاجون إليه فكانت الممرضة والمعالجة لإصاباتهم المضمدة لجراحهم في ساحات القتال.وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على شجاعة وشهامة ونبل أخلاق المرأة الليبية التي ترفض الانصياع لأوامر المحتل ولا ترضى العيش إلا بحرية فوق ربوع وطنها العزيز الغالي.

المصادر والمراجع

1. أحمد عطية مدلل، التدخل الأجنبي في ليبيا (1881 – 1915)، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 2007.
2. أروخان كول أوغلو، مذكرات الضباط الأتراك حول معركة ليبيا، ترجمة: وجدي كدك مراجعة: عماد الدين غانم، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979.
3. أنور باشا، مذكرات أنور باشا في طرابلس الغرب، تقديم وترجمة: عبد المولى صالح الحرير المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979.
4. الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، دار الفتح، بيروت، الطبعة الثالثة 1973.
5. بشير محمد رمضان، القيادة والإمداد في حركة الجهاد الليبي، ليبيا، 1999.
6. حبيب وداعة الحسناوي (جمع وتعليق)، قصة جهاد الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي 1911-1943، صور وثائق وأرقام، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس، 1988.
7. ج. ف. آبوت، الحرب المقدسة في طرابلس الغرب، ترجمة: عبد الحفيظ الميار، دارف المحدودة، لندن، 1993م.
8. الشهيد، العدد الخامس، 1984.
9. جورج ريمون، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا ،1912، ترجمة: محمود عبد الكريم الوافي، جامعة قاريونس، بنغازي، 1972.
10. عمر الزبيدي، مجاهدو ترهونة ودورهم في أحداث ثورة 1915، مجلة الشهيد، منشورات مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية، طرابلس، العدد العاشر، 1989.
11. محمد صالح الجابري، يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية، الدار العربية للكتاب، طرابلس- تونس، 1988.
12. الجهاد الليبي في الصحافة التونسية، المجلد الثاني، الدار العربية للكتاب طرابلس– تونس، 1982.
13. مصطفى حامد ارحومة، المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الإيطالي أكتوبر 1911 – أكتوبر 1912، دولة ليبيا، 1988.
14. مصطفى حامد ارحومة، دور الأطفال في حركة المقاومة الوطنية ضد الغزو الإيطالي مجلة الشهيد، العدد السادس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1983.
15. يوسف سالم البرغتي، موسوعة روايات الجهاد، الجزء الثاني، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1990.

الملاحق:-

- حبيب وداعة الحسناوي (جمع وتعليق)، قصة جهاد الليبيين ضد الإستعمار الإيطالي 1911- 1943، صور وثائق وأرقام، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988.

- حبيب وداعة الحسناوي (جمع وتعليق)، قصة جهاد الليبيين ضد الإستعمار الإيطالي 1911- 1943، صور وثائق وأرقام، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988.